

□□ تعالى.. ملجأ العارفين



"إِذَا حَلَ السَّهْمُ، وَخَيَّ السَّهْمُ الغم، واشتد الكرب، وعظم الخطب، وضقت السبل، وبارت الحيل، نادى المنادي: يا □□. يا □□" (لا إله إلا □□ العظيم الحليم، لا إله إلا □□ رب العرش العظيم، لا إله إلا □□ رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم)، فَيُفَرِّجُ الهَمَّ، وَيُذْفَسُ الكَرْبَ، وَيُذَلِّلُ الصَّعْبَ (فَأَسْتَجِيبُنَا لَهُ وَنَجِّيبُنَاهُ مِنَ الغَمِّ) وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ (الأنبياء / 88)، (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ) (النحل / 53). "إِذَا أُجْدِبَتِ الأَرْضُ، وَمَاتَ الزَّرْعُ، وَجَفَّ الضَّرْعُ، وَذَبَلَتِ الأَرْهَارُ وَذَوَاتُ الأشْجَارِ، وَغَارَ المَاءُ، وَقَلَّ الغِذَاءُ، وَاشْتَدَّ البَلَاءُ، خَرَجَ المُسْتَعِيثُونَ بِالشُّيُخِ الرَّكَّعِ، وَالأَطْفَالِ الرَّضَّاعِ، وَالبَهَائِمِ الرَّتَّاعِ، فَنَادَوْا: يَا □□، وَاسْتَغَاثُوا: يَا □□، فَيَنْزِلُ المَطَرُ، وَيَنْهَمِرُ الغَيْثُ، وَيَذْهَبُ الظَّمْأُ، وَتَرْتَوِي الأَرْضُ"، (وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المُمْتَاعَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً نَّوْجًا بِهَيْجٍ) (الحج / 5)، وَإِذَا بِالمَاءِ يَرُوي مِنَ العَطَشِ، وَيُذَقُّ مِنَ الدَّنَسِ. "إِذَا اشْتَدَّ المَرَضُ، بِالمَرِيضِ، وَضَعَفَ جَسْمُهُ، وَشَحِبَ لَوْنُهُ، وَقَلَّتْ حِيلَتُهُ، وَضَعُفَتْ وَسِيلَتُهُ، وَعَجَزَ الطَّيِّبُ، وَحَارَ المَدَاوِي، وَجَزَعَتِ النَفْسُ وَرَجَفَتِ اليَدُ، وَوَجَفَّ القَلْبُ. انطرح المريض، واتجه العليل إلى العلي الجليل، ونادى: يا □□. يا □□، فزال الداء" ودب الشفاء وسُمع الدعاء (وَأَيُّ يُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنْ نَبِّئْني بِمَسَّئِلِي الضُّرِّ وَأَنْزِلْ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَأَسْتَجِيبُنَا

لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَالَمِينَ (الأنبياء / 84-83). "إِذَا انطلقت السفينة بعيداً بعيداً في البحر اللجج، وهبت الزوابع، وتساقت الرياح، وتلبّد الفضاء بالسحب، واكفهر وجه السماء، وأبرق البرق، وأرعد الرعد، وكانت ظلمات بعضها فوق بعض، ولعبت الأمواج بالسفينة، وبلغت القلوب الحناجر، وأشرفت على الغرق، وتربص الموت بالركاب، اتجهت الأفئدة، وجارت الأصوات: يا ا. يا ا.، فجاء عطفه، وأشرق ضياؤه في الظلام الحالك، فأزال المهالك": (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَاللَّيْلَ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِ وَجَرَّ يَمُّهُمُ يَرِيحُ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَزْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّآ أَزْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَدْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا نُرْسِلُكُمْ عَلَىٰ أَنْزَفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَأَنْزَيْتُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (يونس / 22-23)، (قُلْ مَنْ يُنْزِلُ سَيْكُمُ مِنَ السَّمَاءِ الْيَتِيمَاتِ الْيَتِيمَاتِ وَاللَّيْلَ حَتَّىٰ تَضُرُّنَّ عَنَّا وَخُفْيَةَ لَئِنِ أَزْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلْ اللَّهُ يُنْزِلُ سَيْكُمُ مِنَ السَّمَاءِ وَكُرْبٍ ثُمَّ أَنْزَلْنَاكُمْ تَشْرِكُونَ) (الأنعام / 63-64). "إِذَا حلقت الطائرة في الأفق البعيد، وكانت معلقة بين السماء والأرض فأشّر مؤشر الخلل، وظهرت دلائل العطل، فذعر القائد، وارتبك الركاب، وضجت الأصوات، فبكى الرجال، وصاح النساء، وفُجِعَ الأطفال، وعم الرعب، وخيم الهلع، وعظم الفزع، أَلَحُّوا فِي النِّدَاءِ، وَعَظُم الدِّعَاءُ: يا ا. يا ا. يا ا.، فأتى لطفه، وتنزلت رحمته، وعظمت مِّنْ نَّتُّهُ، فهدأت القلوب، وسكنت النفوس، وهبطت الطائرة بسلام". "إِذَا اعترض الجنين في بطن أمه، وعسرت ولادته، وصعبت وفادته، وأوشكت الأم على الهلاك، وأيقنت بالممات، لجأت إلى منفس الكربات، وقاضي الحاجات، ونادت: يا ا. يا ا.، فزال أنينها، وخرج جنينها". إِذَا حَلَّتْ بِالْعَالَمِ مَعْضَلَةٌ، وَأَشْكَتْ عَلَيْهِ مَسْأَلَةٌ، فَتَاهُ عَنْهُ الصَّوَابُ، وَعَزَّ عَلَيْهِ الْجَوَابُ، مَرَّ أَنْفَهُ بِالتَّرَابِ، وَنَادَى: يا ا. يا ا.، يا معلم إبراهيم علمني، يا مفهم سليمان فهمني، "اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"، فيأتي التوفيق وتُحل المغاليق. "فهو تعالى الملاذ في الشدة، والأنيس في الوحشة، والنصير في القلة. يتجه إليه المريض الذي استعصى مرضه على الأطباء.

ويدعوه آملاً في الشفاء". ويتجه إليه المكروب يسأله الصبر والرضا، والخلف من كلِّ فائت، والعوض من كلِّ مفقود، (الَّذِينَ إِذْ أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ) (البقرة/ 156). ويتجه إليه المظلوم آملاً يوماً قريباً ينتصر فيه على ظالمه، فليس بين دعوة المظلوم وبين حاجب، (أَنْزِي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ) (القمر/ 10). ويتجه إليه المحروم من الأولاد سائلاً أن يرزقه ذرية طيبة، (رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّئِيسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيحًا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنِّي وَرَائِيَ وَكَانَ زَكَاةً أَمْرَأَتِي إِعْاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِيحُ زُنُوجِي وَيَرْثُ مِنِّي آلَ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا * يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا) (مريم/ 4-10). وكلُّ واحد من هؤلاء آمل في أن يُجاب إلى ما طلب، ويحقق له ما ارتجى، فما ذلك على قدرة الحاجب بعبء وما ذلك على الحاجب بعزيز. أي سكينه يشعر بها المؤمن حين يلجأ إلى ربه في ساعة العسرة ويوم الشدة. فيدعوه بما دعا به محمد (ص) من قبل: "اللهم رب السماوات السبع، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كلِّ شيء، فالق الحب والنوى. منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كلِّ دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول، فليس قبلك شيء. وأنت آخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر، فليس فوقك شيء، وأنت الباطن، فليس دونك شيء، اقض عني الدين. واغنني من الفقر". فهو سلوة الطائعين، وملاذ الهاربين، وملجأ الخائفين، قال أبو بكر الكتاني: "جرت مسألة بمكة أيام الموسم في المحبة. فتكلم الشيوخ فيها. وكان الجنيد - رحمه الله - أصغرهم سناً. فقالوا له: هات ما عندك يا عراقي. فأطرق ساعة، ودمعت عيناه، ثم قال: عبد ذاهب عن نفسه، وامتص بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، أحرق قلبه أنوار هيئته، وصفا شربه من كأس وده، وانكشف له الجبار من أستار غيبه فإن تكلم: فبا. وإن نطق: فعن الله. وإن عمل: فبأمر الله. وإن سكن: فمع الله. فهو الله، وبالله، ومع الله، فبكى الشيوخ، وقالوا: ما على هذا مزيد. جبرك الله يا تاج العارفين". إليه وإلا لا تُشددُ الركائبُ *** ومنه وإلا فالمؤملُ خائبٌ وفيه وإلا فالغرامُ مُضَيِّعٌ *** وعنه وإلا فالمحدثُ كاذبٌ من علق نفسه بمعروف غير معروف الله فرجاؤه خائب، ومن حدَّث نفسه بكفاية غير كفاية الله فحديثه كاذب، لا يغيب عن علمه غائب، ولا يعزب عن نظره عازب، (وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) (يونس/ 61). المصدر: كتاب الله أهلُ الثَّناءِ والمجدِ